(٢)

رسالة في

فضائل الصحابة

تأليف

محمد بن عبد الله السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

رسالة في فضائل الصحابة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد سألني بعض الأخوة عن فضل صحابة رسول الله ﷺ عمومًا وعن فضل الخلفاء الراشدين على وجه الخصوص ، وعن موقف المسلم مما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم ، فأقول وبالله التوفيق :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كلهم عدول مستدلين على ذلك بالنصوص الصريحة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ الثابتة ، ومن ذلك :

قول الله عز وجل : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [محمد : ٢٩] .

ومنها : قوله سبحانه : ﴿ والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر:٩] .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ [الأنفال:

٧٤] .

ومنها قوله جل وعلا : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى:﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ، وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر:٨].

فالصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ، ولهم من الفضل والسبق ما ليس لغيرهم ، وقد قال ﷺ مبينًا فضل أصحابه ومحذرًا من سبهم : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » رواه البخاري .

وقال ﷺ : « النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » رواه البخاري ومسلم .

وأجمع أهل العلم على أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ، فهم نقلة الشريعة ، وحملة الدين ، والقدح فيهم قدح في الشريعة ورد لها ، فإن جمع القرآن ونشره كان في زمانهم ، وهم رواة السنة والمخبرون عن أفعال النبي ﷺ وأقواله ، وويل لمن تنقصهم أو سبهم أو اتهمهم بما هم منه براء رضي الله عنهم وأرضاه .

قال الإمام أحمد رحمه الله : إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام .

وقال الإمام مالك رحمه الله : من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله : ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ .

وقال الطحاوي رحمه الله : « وحب الصحابة دين وإيمان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان » .

وقال ابن كثير رحمه الله : «الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل» .

وقال النووي رحمه الله : الصحابة كلهم عدول من لابس الفتنة وغيرهم بإجماع من يعتد به » .

وقد اختلف العلماء في حكم تفضيل بعض الصحابة على بعض ،

فقالت طائفة : لا نفاضل ، بل نمسك عن ذلك ، وقال الجمهور : إنهم يتفاضلون . واتفق أهل السنة والجماعة على أن أفضلهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي . ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم أهل بيعة العقبة .. وهكذا رضي الله عنهم أجمعين .

وما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم من قتال كان عن اجتهاد منهم لا ينقص ذلك من قدرهم ، فهم إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون ، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، والخطأ مغفور ؛ لقوله ﷺ: « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » رواه البخاري ومسلم .

ولما لهم من الفضائل والسابقة في الإسلام ونصرته وصحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه ؛ فهم عاشوا في خير القرون، وأفضلها. وإذا قيس هذا الذي وقع بينهم رضي الله عنهم إلى جانب ما لهم من محاسن وفضائل ؛ لم يعد أن يكون قطرة في بحر . فالله الذي اختار نبيه ﷺ هو الذي اختار له هؤلاء الأصحاب ، فهم خير الخلق بعد الأنبياء ، والصفوة المختارة من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم .

فأفضل هؤلاء الصحابة : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، وهو أول الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد المشاهد ، وصاحب النبي ﷺ في الهجرة وغيرها ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠] ، وهو الذي قال له النبي ﷺ وهما في الغار : «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» رواه البخاري.

قال ابن حجر رحمه الله : « في الآية فضل أبي بكر الصديق ؛ لأنه انفرد بهذه المنقبة ، حيث صاحب رسول الله ﷺ في تلك السفرة ، ووقاه بنفسه، وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه » انتهى .

وقد قال المصطفى ﷺ عنه : « إن من أَمَنِّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر » رواه البخاري .

وفي البخاري أيضًا : « سأل عمرو بن العاص النبيَّ ﷺ عن أحب الناس إليه ، فقال ﷺ : عائشة . فقال عمرو : من الرجال ؟ قال ﷺ: أبوها ، قال عمرو : ثم من ؟ فقال ﷺ : ثم عمر بن الخطاب ، وعد رجالاً » .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه « كان بين أبي بكر وعمر كلام ، فطلب أبو بكر من عمر أن يستغفر له ، فامتنع عمر ، وجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ ، فذكر له ما جرى ؛ ثم إن عمر ندم ، فخرج يطلب أبا بكر في بيته ، فذكر له أنه كان عند النبي ﷺ ، فلما جاء عمر أخذ النبي ﷺ يغضب لأبي بكر ؛ وقال : أيها الناس ، إني جئت إليكم فقلت : إني رسول الله إليكم ، فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ فهل

أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ فما أوذي بعدها » رواه البخاري .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة ، فاختار ذلك العبد ما عند الله، فبكى أبو بكر ، فقال : بل نفديك بأنفسنا ؛ وأموالنا . قال : فجعل الناس يعجبون أن ذكر النبي ﷺ عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة ، فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « لما ثقل رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر : ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يُختلف عليه ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم ، قال : أبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك يا أبا بكر » رواه أحمد .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه « أن امرأة قالت يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك ، كأنها تعني الموت ، قال : فأتي أبا بكر » رواه مسلم .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه « أن النبي ﷺ قال ذات يوم : من رأى منكم رؤيا فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر ، فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رفع الميزان ، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ » رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل

الله دعته خزنة الجنة نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم » .

وقد تواتر في الصحيح والسنن : « أن النبي ﷺ لما مرض قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس - مرتين أو ثلاثا - حتى قال : إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس » .

والأحاديث والآثار في فضائله رضي الله عنه كثيرة.

ثم بعد الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين ، قال عنه ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » رواه البخاري .

وقال رضي الله عنه : « وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر » رواه مسلم .

وفي الصحيحين : عن النبي ﷺ أنه قال : « رأيت كأني أتيت بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم ناولت فضلي عمر، فقالوا : ما أولت يا رسول الله ﷺ قال : العلم».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا

نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثـدي ومنهـا مـا يبلغ دون ذلك ، ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا ماذا أولت ذلك يا رسول الله؟ قال الدين» رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : « سمعت رسول الله ﷺ يقـول : بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليهـا دلـو ، فنزعـت منهـا مـا شـاء الله ، ثـم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بهـا ذنوبـا أو ذنـوبين ، وفي نزعـه والله يغفـر لـه ضعف ، ثم استحالت غربا ، فأخـذها ابـن الخطـاب ، فلـم أر عبقريًّـا مـن الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن» رواه مسلم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عـن النبـي ﷺ قـال: «دخلـت الجنة فرأيت فيها دارًا أو قصرًا ، فقلت لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل ، فذكرت غيرتك ، فبكى عمر ، وقال : أي رسـول الله أو عليك يغار ؟» رواه مسلم .

وعن سعد بن أبي وقـاص رضي الله عنـه قـال : « اسـتأذن عمـر عـلى رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويسـتكثرنه عاليـة أصـواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ورسـول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال رسـول الله ﷺ : عجبت من هؤلاء الـلاتي كـن عنـدي، فلـما سـمعن صـوتك ابتـدرن الحجاب ، قال عمر : فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن ، ثـم قـال عمـر : أي عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم أنـت أغلـظ وأفظ من رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، مـا لقيـك

الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك» رواه مسلم

وفي الصحيحين : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي ، فالتفت فإذا هو علي ، وترحم على عمر ، وقال : ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله عز وجل بعمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وذلك أني كنت كثيرا ما أسمع النبي ﷺ يقول : جئت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، فإن كنت أرجو أو أظن أن يجعلك الله معهما» .

والأحاديث والآثار في فضائله كثيرة رضي الله عنه .

ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، أسلم قديمًا ، زوجه رسول الله ﷺ بابنته رقية ، ولما توفيت زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم ، ولما توفيت قال ﷺ : لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان ، وقد قال عنه ﷺ لما جهز جيش العسرة : «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » رواه الترمذي .

شهد أحد والخندق والحديبية وبايع عنه رسول الله ﷺ بإحدى يديه ، وشهد خيبر ، وعمرة القضاء ، وحضر الفتح والطائف وتبوك . ومن فضائله : ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له ، وهو على تلك الحال ، فتحدث ثم استأذن عمر ، فأذن له وهو كذلك ،

فتحدث ، ثم استأذن عثمان ، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه - قال محمد ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك !! فقال : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» رواه مسلم .

وعن أبي موسى الأشعري قال : « بينما رسول الله ﷺ من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين ، إذ استفتح رجل ، فقال: افتح وبشره بالجنة ، قال : فإذا أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة ، قال : ثم استفتح رجل آخر ، فقال : افتح وبشره بالجنة ، قال : فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر ، قال : فجلس النبي ﷺ فقال : افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال : فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان ، قال : ففتحت وبشرته بالجنة ، قال وقلت الذي قال ، فقال : اللهم صبرا ، أو الله المستعان » رواه مسلم .

وعن عثمان رضي الله عنه قال يوم الدار : «إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدًا، فأنا ممتثل له، وصابر عليه إن شاء الله ، فصبر حتى قتل رحمه الله شهيدا» أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة ، فقال: «يقتل هذا فيها - مظلومًا - يعني : عثمان» رواه أحمد والترمذي.

وعن عائشة رضي الله عنها : قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا عثمان، لعل الله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه، فلا تخلعه حتى

يخلعوه» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة . ويقمصك قميصًا أراد به الخلافة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : قال : «لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، قال: فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ: إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم». أخرجه الترمذي.

وعن عبد الرحمن السلمي قال : «أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم ، فقال: أنشدكم بالله – ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله ﷺ – ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، فجهزتهم ؟ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر بئر رومة فله الجنة، فحفرتها ؟ قال : وصدقوه بما قال» رواه البخاري .

والأحاديث في فضائله رضي الله عنه كثيرة .

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين ، وأول من أسلم من الصبيان وتربى في حجر النبي ﷺ ، شهد بدرًا والرضوان وسائر المشاهد كلها إلا تبوك ، وزجه رسول الله ﷺ بابنته فاطمة ، وكان أحد الستة أصحاب الشورى .

قال له رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » رواه

مسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، قال عمر ابن الخطاب : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها ، قال : فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، فأعطاه إياها ، وقال : امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، قال : فسار عليٌّ شيئا ، ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » رواه مسلم .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : « خرجت مع علي إلى اليمن ، فرأيت منه جفوة ، فقدمت على النبي ﷺ فذكرت عليا فتنقصته ، فجعل رسول الله ﷺ يتغير وجهه ، قال : يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه » رواه أحمد والنسائي .

وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « إن عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي» رواه أحمد والترمذي والنسائي .

وعن علي رضي الله عنه قال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق» رواه مسلم .

وهكذا فالأحاديث في فضائل الصحابة كثيرة .

فمن أحبهم ، وتولاهم ، وراعى حقهم ، وعرف فضلهم ، فقد اتبع قول خير المرسلين ، وقد قال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

ومن شتمهم ، أو تنقص من قدرهم ، أو قدْر واحد منهم ، فقد لحق بركاب الخوارج والروافض وغيرهم من الهالكين .

وأهل السنة متفقون على أن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ هم : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد ثبتت خلافته باختيار الصحابة واتفاقهم عليه وقولهم : رضيه رسول الله ﷺ لديننا فرضيناه لدنيانا.

ثم من بعده الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد استخلفه الصديق واتفق الصحابة عليه بعده .

ثم جاء من بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى وإجماع الأصحاب كافة ورضاهم به ، وقد قتل مظلومًا ، وقَتَلَتُهُ فسقة،ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه،ولم يشارك في قتله أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم،وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل ، تحزبوا وقصدوه من مصر بسبب أخبار مكذوبة على عثمان رضي الله عنه وهوى من بعض الناس، وقد عجز الصحابة الحاضرون عن دفعهم ، فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه .

وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع ، وكان هو الخليفة

في وقته لا خلافة لغيره ، وقد بايعه الصحابة ورأوه أحقهم بالخلافة .

وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء ، والصحابة النجباء رضي الله عنه ، وقد جعله النبي ﷺ من كتاب الوحي .

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، وكلهم عدول رضي الله عنهم ، ومتأولون في حروبهم وغيرها .

فطائفة منهم ترى أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليهم نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ، ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة .

وطائفة عكس هؤلاء ، ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته ، وقتال الباغي عليه .

وطائفة ثالثة اشتبهت عليهم القضية ، وهم أكثر الصحابة رضي الله عنهم فإنهم اعتزلوا الأمر كله ، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين ، فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم ، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين ، وأن الحق معه ، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ونؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين إما

مصيبين لهم أجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم ، وما كان لهم من السيئات ، وقد سبق لهم من الله الحسنى ، فإن الله يغفرها لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك ، فإنهم خير القرون كما قال ﷺ : «خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم » وهذه خير أمة أخرجت للناس .

ونعلم مع ذلك أن علي بن أبي طالب كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتله ؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » . وفي الحديث دليل على أن مع كل طائفة حقًا ، وأن عليًا أقرب إلى الحق . وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما فاتبعوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث » .

وقال أيضًا رحمه الله : وأما الصحابة فجمهورهم وجمهور أفاضلهم لم يدخلوا في الفتنة ، ثم ساق عن ابن سيرين قوله : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين» .

فكلهم معذورون رضي الله عنهم ، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم ، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين .

وأهل السنة والجماعة يعتقدون الكف عما شجر بين الصحابة، ويستثنى منه ما إذا كان الغرض بيان الحق في مسألة ما دونما انتقاص لأحد

منهم رضي الله عنهم .

وقد قرر هذا شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث حيث قال : « ويرون –أي أهل السنة والجماعة– الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصًا فيهم ، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم ، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن ، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين » .

وكذا ابن بطة في الإبانة قال: « نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه ، وسبقوا الناس بالفضل ، فقد غفر الله لهم، وأمر بالاستغفار لهم ، والتقرب إليه بمحبتهم ، وفرض ذلك على لسان نبيه ﷺ وهو يعلم ما سيكون منهم ، وأنهم سيقتتلون ، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق ؛ لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم ، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم» وقال : « ونشهد أنهم كلهم على هدى وتقى وخالص إيمان ؛ لأنا على يقين من نص التنزيل وقول الرسول إنهم أفضل الخلق وخيره بعد نبينا محمد ﷺ؛ ولأن أحدًا ممن أتى بعدهم ولو جاء بأعمال الثقلين الإنس والجن من أعمال البر ، ولو لقي الله تعالى ولا ذنب له ولا خطيئة عليه ، لما بلغ ذلك أصغر صغيرة من حسنات أدناهم، وما فيهم دني ولا شيء من حسناتهم صغير والحمد لله» اهـ.

وكذا أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة أهل الحديث حيث قال : «والكف عن الوقيعة فيهم وتأويل القبيح عليهم ويَكِلونهم فيما جرى بينهم

على التأويل إلى الله عز وجل » .

وقال الإمام أحمد : « نكف عن ذكر أصحابه فيما شجر بينهم ، ونترحم عليهم ، ونقدم من قدمه رسول الله ، نرضى بمن رضي به رسول الله في حياته وبعد موته ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤] وقال النبي ﷺ : خير الناس قرني الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وقال: لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه. فالفضل لهم ، ودع عنك ذكر ما كانوا فيه ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله عز و جل فيهم : ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٧] ، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول هذا لنفسه ولطلحة والزبير ويترحم عليهم أجمعين ونحن فلا نذكرهم إلا بما أمرنا الله عز و جل به ﴿ ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [الحشر:١٠] » اهـ . والله تعالى أعلم .

* * *

فهرس الرسالة

الصحابة كلهم عدول ١١٥
أدلة القرآن على ذلك ١١٥
أدلة السنة على ذلك ١١٦
نقولات عن بعض الأئمة في اتفاقهم على ذلك ١١٧
اختلاف العلماء في تفاضل الصحابة........................ ١١٧
أفضل الصحابة أبو بكر الصديق رضي الله عنه والدليل على ذلك ... ١١٨
ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه والأدلة على ذلك ١٢١
ثم عثمان رضي الله عنه والأدلة على ذلك ١٢٣
ثم علي رضي الله عنه والأدلة على ذلك ١٢٥
الخلاف بين معاوية وعلي رضي الله عنهما ١٢٨
نقولات الأئمة في الكف عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ١٢٨
فهرس الرسالة ١٣٢